مضامين الأمن الفكري في نصوص أهل البيت (عليهم السلام)

The Concept of Intellectual Security in the Texts of the Ahlul-Bayt (peace be upon them)

م.د. نورا حسين علي

Lect.Dr Nora Hussein Ali

كلية التربية / الجامعة المستنصرية

College of Education - Al-Mustansiriya University

E-mail: nora.hassein@uomustansiriyah.edu.iq

الكلمات المفتاحية: الأمن الفكري ، نصوص ، مضامين.

Keywords: Intellectual security, texts, concepts

الملخص

يسـعى هذا البحث إلى الكشـف عن مضـامين الأمن الفكري عند أهل البيت عليهم السـلام عن طريق استكناه طائفة من نصوصهم الشريفة عليهم السلام وبيان مدلول تلك النص وأهم ما ترشد إليه للوقوف على تلك المضـامين وتوظيفها في واقعنا المعاصـر ومقابلتها مع الرؤى الحديثة التي تهتم بموضوع الأمن الفكري الذي بدت العناية به في العصر الحديث بصورة أكثر وضوحاً على الرغم من قدم هذا الأمر والعناية به منذ ذلك الحين .

Abstract:

This study aims to uncover the concepts of intellectual security as presented by the Ahlul-Bayt (peace be upon them) by examining a selection of their noble texts, clarifying their meanings, and highlighting their key guidance, this will allow for a deeper understanding of these concepts and their application in our contemporary reality, comparing them with modern perspectives on intellectual security. While the issue of intellectual security has been a subject of greater concern in the modern era, it has been a long-standing and important topic since ancient times.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين

أمّا بعد فقد شـهدت السـاحة الفكرية عناية واضـحة بموضـوع الأمن الفكري في العصـر الحديث لأهميته ، وأثره في مواجهة الانحرافات الفكرية التي تظهر بين حين وآخر .

ولم يكن الإســـلام بمنأى عن هذا الموضـــوع الذي أولاه عناية كبيرة ، اتضـــحت ملامحها في مصادره التشريعية المتمثلة بالقرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، ونصوص المعصومين عليهم السلام

وقد اختص هذا البحث بالكشـف عن مضـامين الأمن الفكري في نصـوص المعصـومين عليهم السـلام ومن المؤكد أنْ لا يسـتوعب كل الأحاديث التي تحمل هذه المضـامين إنّما وقفنا على أبرزها وأهمها بحسب تصورنا ، وبحسب ما يسمح به الوقت .

وللوصـول إلى النتائج المرجوة كان لابد من وضـع هيكلية تحقق هذا الهدف فتقسـم البحث على مقدمة جاءت بعدها مجموعة من الفقرات المتسلسلة نحو تعريف الأمن الفكري وبيان أهميته ، ثم عرجنا بالحديث عن التأصـــيل القرآني للأمن الفكري ، وتجاوزنا الحديث عن مضـــامين الأمن الفكري في السنة النبوية الشريفة لسببين : الأول إنّها درست عن طريق أكثر من دراسة . والثاني

إننا سنقف على مضامين الأمن الفكري في نصوص المعصومين عليهم السلام ولا نجدها تختلف عمّا أوردته السـنة النبوية المطهرة . بعد ذلك انتقل البحث إلى الحديث عن : نصـوص المعصـومين الحاملة لمضـامين الأمن الفكري ولم نقف على جميع تلك المضـامين إنما اقتصـرنا على أربعة منها ، وهي : أهمية الدعوة ، ومواجهة الانحرافات الفكرية ، فضـل العلم والعلماء ، ضـرورة الوصـول إلى مرحلة اليقين . لأننا نحسـب أنّ هذه الأمور تشـكل عماد الأمن الفكري وأفضل وسائل تحقيقه وقد اعتمدنا منهج الدراسة الموضوعية في هذا البحث ، وبعد اكمال دراسة النصـوص الحديثية موضـع الدراسـة ثبتنا خاتمة البحث وأبرز ما توصـل إليه ، ثم وضـعنا قائمة بالمصادر والمراجع التي استعان بها البحث لتحقيق ما يصبو إليه .

وآخر دعوانا أنْ الحمد لله ربّ العالمين ، والصـلاة والسـلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين .

تعريف الأمن الفكري

يعدّ مفهوم الأمن الفكري من المفاهيم المعاصـرة التي لفيقيت عناية كبيرة من جهات مختلفة في واقعنا الاجتماعي إذ شهدت الآونة الأخيرة اهتماماً ملحوظاً بهذه المفردة تمثل هذا الاهتمام بإنشاء مراكز مختصـة بالأمن الفكري ، وعقد مؤتمرات تحمل عنوانه ، فضـلاً عن تأليف عدد من الكتب بهذا الشـأن ، وإقامة سـلسـلة من الورش والندوات المختصـة به ، والهدف المنشـود من كل هذا الوصول إلى مرحلة الأمن الفكري في المجتمع ومواجهة أية صورة من صور الانحراف الفكري . وتتأتى أهمية هذا المفهوم من أثره الجلي في تحصين الانسان والمجتمع ليحافظ على فكره السلام ولا يسمح لأحد بتزوير أي عنصر من عناصر منظومته الثقافية .

ومن أدلة العناية الفائقة بهذا المصـطلح السـعي الحثيث إلى إيجاد تعريف مانع له يسـعى إلى ضـبطه ، ويشـتمل أركانه ، ويحدد أهدافه لذلك يطالعنا اليوم عدد كبير من التعريفات التي حددت مفهوم الأمن الفكري ، فهو من المصـطلحات المعاصـرة التي أخذت مسـاحة واسـعة من الاشتغال على المستويين النظري والعملي ومن تعريفاته :

ما ذكره الدكتور حيدر الحيدر وهو : ((تأمين خلو أفكار وعقول أفراد المجتمع من كلِّ فكر شـائب ومعتقد خاطئ ، مما قد يشـكل خطراً على نظام المجتمع وأمنه ، وبما يهدف إلى تحقيق الأمن والاسـتقرار في الحياة الاجتماعية . (د. حيدر عبد الرحمن الحيدر : ص ٣١٦ .) .

وتفكيك هذا التعريف يبرز عمل الأمن الفكري ومسؤوليته في المجتمع المتمثلة في تحصين عقول أبناء المجتمع من الانحرافات الفكرية التي عبر عنها بالشوائب ، والمعتقدات المغلوطة ، وتشكيل درع حصـين لكل ما يشـكل خطرا على المجتمع وأمنه ، والسـعي الحثيث لبسـط الاسـتقرار الاجتماعي

ويعرفه الدحيري مستنداً إلى وظيفته فهو ((يُعنى بتحقيق سلامة فكر أفراد المجتمع من الانحراف أو الخروج عن الوســـطية والاعتدال في فهم الأمور الدينية وحماية المنظومة العقدية والفكرية والثقافية والاجتماعية بما يهدف إلى تحقيق الأمن بمفهومه الشـــامل في المجتمع)) (دحيري : ٣٨٨) .

والاطلاع على هذا التعريف يفضي إلى أنّ الأمن الفكري ينشد تحقيق سلامة فكر أفراد المجتمع ، والسعي إلى وضعهم على طريق الوسطية وإنشاء حاجز رصين يمنع اختراق المنظومة القيمية وهو سبيل من سبل تحقيق الأمن الشامل في المجتمع .

ويعرف أيضـــاً بأنَّه : ((العمل من أجل تأمين عنصـــر الوقاية لدى فكر الانســـان من الأفكار الدخيلة والمنحرفة ، وذلك بصـــرفه عن الجمود والتخلف إلى التفكير الســـليم المثمر الذي يحقق السعادة في الدنيا والآخرة)) (القرالة : ٧)

وهذا التعريف لا يخرج من دائرة تأمين وقاية كافية لا تســـمح بدخول الأفكار الدخيلة ، فضـلاً عن إضـافة هدف آخر يتمثل بفك الجمود والتخلف ، ونشـر معالم التفكير السـليم لتحقيق السعادة في المجتمع .

وكذلك ورد له تعريف آخر يشـير إلى أنّه : ((حالة الاسـتقرار الفكري والمعرفي داخل المجتمع ، بحمايته من التأثيرات الآيدلوجية المتطرفة ، والتضـــليل الإعلامي ، والحروب الفكرية التي تهدد القيم الديموقراطية وقيم الاقتصـاد الحر ، وحقوق الانسان ، والهوية الثقافية ، أو الأمن القومي.)) (عزمي : ٧)

ويبدو أنّ هذا التعريف يركز على الغاية المنشـودة المتمثلة بالاسـتقرار الفكري ، والوظيفة التي تتركز بحماية المجتمع من التأثيرات الخارجية ووسائل تضـييع الأمن الفكري ، والحفاظ على الثوابت التي يسعى الأمن الفكري إلى الحفاظ عليها .

وللإفادة من الوقت وعدم الاسـتغراق في قضـايا ربما تضـفي طابع التكرار في هذا البحث نكتفي بهذا القدر من التعريفات إذ إنّ جلَّ ما اطلعنا عليه لا يخرج من دائرة المفاهيم والأفكار التي تحملها التعرفات التي ذكرناها .

أهمية الأمن الفكري في المجتمع

الأمن من القضـايا التي يجب أنْ تتوفر في المجتمعات الإنسـانية ، والأمن أنواع كثيرة تتدافع من حيث أهميتها نتيجة اختلاف محددات ، وحاجات تتباين بين زمن وآخر ومكان .

وعلى الرغم من هذا التباين واختلاف نســـبة الحاجة إلى الأمن الفكري بحســـب ما ذكر من محددات إلا أنّ العناية به قديمة وجدت مع وجود الفكر بأنواعه التي تصنف ضمن أفكار الخير

أو أفكار الشـر . لكن العصـر أفرز حاجة أكبر توجب السـعي الحثيث لترسـيخ الأمن الفكري ومواجهة كل أشكال الانحرافات الفكرية إذ ((تمخض الزمان عن وقائع وأحداث لا عهد للسابقين بها ، خاصـة في ظل تطور وسـائل التواصـل الاجتماعي ، والانفتاح على العالم بشـكل هائل وسريع ، حتى أصبح العالم كله كقرية صغيرة ، فلا بد من الاهتمام بالأمن الفكري ، واتخاذ جميع الوسائل والطرق لتحصين أبنائنا من أمراض العصر الجديدة التي تستهدف سلامة الفكر ، وتنخر في ثوابت المعتقدات ، وتهدد سلامة الإيمان)) (الخصاونة : مقال على الانترنت) .

وقد أشارت الثقافة الإسلامية إلى أهمية الأمن الفكري إذ عدّته الضامن الحقيقي لتحقيق للحفاظ على العقيدة السلمية ، والسبيل الأمثل لمواجهة الانحرافات الفكرية التي تؤدي إلى تشتت المجتمع وانتشار الفوضى فيه .

ويبدو أنّ الأمن الفكري هو الحارس للعقل إذ إنّ حمايته من التضـليل يمثل الهدف الذي ينشده الأمن الفكري ((فمن المعلوم هناك علاقة وثيقة بين الأمن الفكري والعقل ، فالثاني هو آلة الفكر ، وأداة التأمل والتفكر ، وأساس استخراج المعارف ، وطريق بناء الحضارات ، فالمحافظة على العقل وحمايته من المفسدات مقصداً من مقاصد الشريعة الإسلامية ، وسلامة العقل لا تتحقق إلا بالمحافظة عليه من المؤثرات الحسية والمعنوية)) (البياتي : ٢٤٧) .

وتعزز هذه الفكرة الدكتورة هبة جاد بقولها إنّ ((الأمن الفكري ضرورة ملحة لا غنى عنها ، فهو حائط الصـد ، وخط الدفاع الأول في مواجهة التطرف والغلو ، ويعد السـلاح الأقوى في معركة الأفكار ضد التيارات المنحرفة التي تسعى إلى تزييف الوعي ، واستقطاب الشباب ودفعهم نحو العنف والإرهاب . كما يسـهم الأمن الفكري في الحفاظ على الهوية الوطنية والثقافية والدينية ، ويحول دون ذوبانها في خضـم العولمة الثقافية الجارفة وما تحمله من قيم دخيلة قد تضـعف الانتماء ، وتفكك البنية المجتمعية .)) (جاد : مقال ألكتروني) .

ويفصـح هذا القول عن أنّ أبرز مهام الأمن الفكري تكمن في مواجهة التطرف والغلو ، والآلية المثلى لمواجهة الأفكار المنحرفة التي تريد زعزعة المنظومة القيمية والأخلاقية لأبناء مجتمعنا ، وتحاول تزوير ثقافته وقيمه ومعتقداته ، فضلاً عن سعيه الحثيث للحفاظ على الهوية الوطنية ، والبقاء على النسيج المجتمعي وعدم تفكيكه .

وأشار مجموعة باحثين إلى أنّ الأمن الفكري يغرس الأخلاقيات السامية والمبادئ والقيم الإسـلامية التي تعمل على حفظ وتوازن واسـتقلالية الشـخصـية المسـلمة وعدم انصـهارها في الثقافات الغربية (الدليمي وآخرون : ٣٧٤)

وكل هذا يشير بجلاء إلى أنّ المجتمعات التي تريد الحفاظ على استقرارها وعدم التنازل عن ثوابتها القيميمة ، والعناية بموروثها الثقافي والحضـاري لابد لها من بسـط الأمن الفكري في

مجتمعاتها ، فهو السبيل إلى تحقيق هذه القضايا وبدونه لا يتحقق شيء منها . وهذا هو محور أهميته وجدواه والسبب من وراء العناية به .

التأصيل القرآني للأمن الفكري .

أشرنا إنّ الأمن الفكري مشروع معاصر ، لقي اهتماماً كبيراً في حياتنا المعاصرة إلا أنّه قديم قدم الإنسانية ، تختلف نسبة العناية به بحسب الظروف التي تمرّ بها المجتمعات .

والمتطلع تتضح له معالم عناية الدين الإسلامي الحنيف للأمن الفكري عن طريق أدبياته المتنوعة متمثلة بالقرآن الكريم ، والسنة النبوية الطاهرة ، وسيرة أهل البيت عليهم السلام .

فالقرآن الكريم توقف عند مفهوم الأمن الفكري ، ووظيفته وأهميته في المجتمع إذ أشار ((إلى هذه الحقيقة منذ قرون مؤكداً إنّ المعركة الحقيقية ليست فقط بين القوى السياسية أو الاقتصادية ، بل بين الرؤية السليمة للوجود وبين التصورات المنحرفة التي تضلل الانسان عن هدفه الحقيقي يقول تعالى : { لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا } سورة الإسراء : ٣٦)) (مرتضى : ١٣)

وربّما يصور النص القرآني الشريف { وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا } (سورة البقرة : ٢١٧) حقيقة الصراع الفكري الذي تشهده المعمورة منذ أن بزغ عليها نور الدين الإسلامي الحنيف إذ حاول أعداؤه تذويب أفكاره وتشويهها والسعي إلى نشر الثقافات المناهضة للدين الإسلامي في المجتمعات الإسلامية .

ومن أهم عناية القرآن الكريم بالأمن الفكري حثه في أكثر من موضع على أهمية التعقل لما للتدبر والتفكر من أهمية في بسط الأمن الفكري إذ قال تعالى : { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } (سورة الحج ٤٦) . فهذه دعوة واضحة إلى أهمية إشغال العقل لأنّ تعطيله من أهم معوقات تحقيق الأمن الفكري في المجتمعات والدافع الرئيس للجنوح نحو التطرف وغياب الوسطية واعتناق عدد من الأفكار التي لا تمتلك دليلاً يعززها .

ومن عناية القرآن بالأمن الفكري تحذير الانسان من الوقوع في الهوى ، إذ جاء هذا التحذير في قوله تعالى : { أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } (سورة الجاثية : ٢٣)

وجاء هذا التحذير بسبب العواقب المترتبة على الانصياع الأعمى ، والوقوع تحت هذه المؤثرات ((ففي هذه الآية إشارة واضحة إلى أنّ اتباع الهوى لدرجة أن يُصبِح إلهاً يُعبد ، فإنّ

ذلك ســـيؤدي حتماً إلى الضَّـــلال ، بل إلى ما هو أخطر ، وهو الختم على القلب ؛ لأنّ الهوى يُعطل جميع وسائل المعرفة لدى الانسان فيسقط في الضلال الأبدي)) (دكير : ٣٨) .

ومن المؤكد إنّ ما ذكر لا يمثل كلّ ما ورد في القرآن الكريم من عناية بموضـــوع الأمن الفكري وتفاصيله لكننا ارتأينا إعطاء نبذة عامة من غير الولوج في تفصيلات هذا الموضوع . فضلاً عن أننا تجاوزنا الحديث عن موضوع الأمن الفكري ومضامينه في السنة النبوية الشريفة لسببن :

الأول كثرة ما كتب في هذا الموضـوع من كتب وأبحاث تناولت دراسـة الأمن الفكري في السـنة النبوية الشريفة وإشباع هذا الموضوع بحثاً ودراسة .

الثاني : إنّ البحث سوف يعمد في صفحاته القادمة إلى استعراض بعض مضامين الأمن الفكري في نصـوص أهل البيت عليهم السـلام ومن المؤكد أنّ ما يذكر في نصـوص أهل البيت عليهم السلام لا يخرج مضمونه عمّا ورد في السنّة النبوية المطهرة لأنّها تمثل خطّاً معرفياً واحداً .

النصوص الحديثية لأهل البيت عليهم السلام في هذا المضمون .

إنّ أهمية موضوع الأمن الفكري وظهوره على الساحة الفكرية تحوجنا إلى تأصيله في كل جوانب ثقافتنا الإسـلامية ، ولا بدّ من البوح بأنّ حقيقة الأمن الفكري الذي به تتحقق سـلامة الدين ويتهنأ الانسـان في حياته لابدّ من الرجوع إلى الأسـس والثوابت الصـحيحة التي تحقق الأمن الفكري (الأعرجي : ١٠) .

ومن المؤكد إنّ ما ورد عن أهل البيت عليهم السـلام من مضـامين تعالج محاور مهمة من موضوع الأمن الفكري وأسسه وآليات تفعليه في الواقع الاجتماعي تمثل معينا مهماً لاستقاء تعاليم نافعة بهذا الشأن فإننا ((إنْ أردنا الأمن الفكري للمسلمين بصورة خاصة وللناس جميعاً بصورة عامة وبما يحقق الاطمئنان في المكان الذي يعيش فيه المسـلم وغيره ، لابد من الرجوع إلى الثقلين ، القرآن الكريم والعترة النبوية المطهرة حيث فيهما ضـالة كل سـائل ومقصـد كل مصـلح رشيد يريد الخير للناس جميعاً)) (الأعرجي : ٢٤)

ومن هذا المنطلق جاء سعينا للبحث في نصوص الأئمة من أهل البيت عليهم السلام للبحث عن مضـامين الأمن الفكري في طياتها ، والوقوف على أبرز الأسـس التي أوضـحتها ، وأهم ما ترشد إليه تلك النصوص لوضع خارطة طريق عملية تسهم في بسط الأمن الفكري داخل المجتمعات الإسلامي . ومن تلك المضامين :

١. العناية بالخطاب الإسلامي ، والدعوة إلى التعاليم الإسلامية .

إذ إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم المضـــامين التي تشــير إلى عناية أهل البيت عليهم السلام بالأمن الفكري وحثّهم على اعتماده كمبدأ حياة ، ووسيلة مثلى لتحقيق البناء القيمي للإنسان داخل المجتمع الإسلامي ومواجهة التحديات الفكرية على اختلاف العصور .

وجاءت هذه العناية لما لهذا الموضــوع من أهمية بالغة في مســيرة الحياة الاجتماعية فهي ترتبط بمشــروع الرســالات الســماوية الخالدة ، وتعد الوســيلة الناجعة لتحقيق أهدافها إذ ((يعد الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر ، المبـدأ الحـارس الأمين للأمـة ، من حيـث إنّـه يحفظ دينهـا ، وشــريعتها من أي محاولات للنيل ، أو التشــكيك ، أو الاعتداء عليها ، فهو القطب الأعظم في الدين ، وهو الواجب الذي ابتعث الله به النبيين أجمعين ، ولو طوي بساطه ، وأهمل عمله وعلمه لتعطلت النبوة ، واضمحلت الديانة ، ونُسيت الصلاة ، وشاعت الجهالة ، وانتشر الفساد ، واتسع الخرق وخربت البلاد ، وهلك العباد ، وإنْ لم يشـــعروا بالهلاك إلى يوم التناد)) (الغزالي : ٢ / ٣٠٦)

وهذا الذي جعل الأئمة من أهل البيت عليهم الســـلام يركزون على منهج الدعوة إلى القيم الإسـلامية الأصـيلة ، ونشـرها في المجتمع ، والدفاع عنها ، ومواجهة الأفكار المضـللة ، والقيم التي لا تتسق مع تعاليم الدين الإسلامي الحنيف .

ومن الأحاديث التي تحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ((عن أبي عبد الله عليه السـلام قال : الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر خلقان من خلق الله فمن نصـرهما أعزه الله و من خذلهما خذله الله)) (الكليني : ٥ / ٥٩ ، الطوسي ٦ / ١٧٧ ، المجلسي : ١١ / ٤٤) .

ويشير الحديث إلى أهمية هذه الخصلة التي يجب أن تترسخ في شخصية الانسان المؤمن لأنّها مما يتصــف بها الله عزّ وجلّ مع فارق واضــح مع طريقة تعامل الانســان والباري عزّ وجلّ في مســـألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، جاء بيانها في نهج البلاغة تتلخص في : ((أنه تعالى ما أمر إلا بمعروف وما نهى إلا عن منكر ويبقى الفرق بيننا وبينه أنا يجب علينا النهي عن المنكر بالمنع منه وهو ســـبحانه لا يجب عليه ذلك لأنّه لو منع من إتيان المنكر لبطل التكليف)) (ابن أبي الحديد : ٩ / ٢٠٣) .

ويشير هذا القول إلى أنّ الله عزّ وجلّ أوضح السبل للإنسان لكنّه لم يفرض عليه شيئاً منها ليتحمل الانســان مســؤولية الحث على المعروف وإيجاد وســائل لنشــر والنهي عن المنكر ومواجهة كل من يحاول اقترافه بكل السبل المتاحة .

ولأهمية هذا الموضــوع تبوأت الجهات التي تتحمل هذه المسـؤولية منزلة رفيعة في الواقع الاجتماعي الإســـلامي ، وارتبط بهم صـــلاح المجتمع ورقيه ، وقد جاء هذا عبر حديث الإمام

الباقر عليه السلام : (صـنفان من أمتي إذا صـلحا صـلحت أمتي ، وإذا فسـدتا فسـدت أمتي ... الفقهاء والأمراء) (الطوسي : ٦ / ١٨)

وقد نبّه الأئمة عليهم السلام النتائج المترتبة على ممارسة الأمر بالمعروف ، وكذلك أوضحوا ما تؤول إليه الأمة حين تتخلى عن هذا الموضـوع فقد جاء في وصـية لعلي بن أبي طالب عليه السـلام تبين أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوله : ((لَا تَتْرُكُنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُوَلِّيَ اللَّهُ الْأَمْرَ شِرَارَكُمْ- ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُم)) (المجلسي : ١١ / ٣٨ .)

وبذلك تكون الدعوة إلى الفضـائل والقيم السـامية والأمر بالمعروق والنهي عن المنكر مسـؤولية شرعية وأخلاقية لكل انسان يمتلك مؤهلات هذا الأمر إذ ((ينبغي لأرباب الكمال وأهل الصـحّة والسـلامة أن يرحموا أهل النقص وأصـحاب الذنوب بإنقاذهم وإعانتهم على الخروج منها بالرفق واللطف تدريجاً؛ لأنّ ذلك دأب الأنبياء والأوصـياء والعلماء العالمين بكيفيّة التعليم والتفهيم)) (الجيلاني ٢ / ٢٥٠) .

وبهذا يتبين أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن مسؤولية تضـامنية تتوجه إلى انتشـال أبناء المجتمع من مستنقع الشر ، وبناء مجتمع تسوده القيم والأخلاق النبيلة . وهذا الأمر يوجب أنْ يتحلى من يمارس الدعوة بمجموعة من الصفات ، منها : ((أن يكون ذا بصيرة يعلم موقع كلّ دعوة، ونحو كلّ دعوة في كلّ موقع ... ويعلم أنّ له أهليّةَ أيّةِ دعوة، وأيّ نحوها من اللين والخشونة والمسامحة والتضييق، إلى غير ذلك .)) (الجيلاني : ٢ / ٢٥١ .)

ومن الشـروط التي حث العلماء على أهمية حضـورها في شـخصـية من يمارس الدعوة تمثل ما يدعو إليه وحضـورها في سـلوكه ، فانعدام هذا الأمر يفرغ الدعوة من قيمتها ولا يحقق الهدف المرجو منها إذ ((إنَّ المقصود من الامر بالمعروف و النهى عن المنكر ارشاد الغير الى ما فيه المصـلحة و التحذير عما يوقعه فى المفسـدة، و الاحسـان الى النفس اولى من الاحسـان الى الغير، فمن وعظ و لم يتعظ فكأنه اتى بفعل متناقض)) (الشيرازي : ١ / ٣٣٩)

ولأهمية مسـألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لم تكن متاحة لكل شـخص بل انحصـرت فيمن تتوفر فيهم صـفات محددة أبرزها : العلم والبصـيرة ، وبيان ما يدعون إليه على سـلوكهم وعدم التناقض بين أقوالهم وأفعالهم .

أهم ما يرشد إليه الحديث :

١ــ أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه من صفات الباري عزّ وجلّ إلا أنّ الاختلاف يتمركز في أنّ الأمر الصادر من الله يخلو من صفة الإلزام أمّا الانسان فيتوجب عليه اعتماد كل السبل التي من شأنها ترسيخ القيم الإنسانية النبيلة ومغادرة ما يخالفها في المجتمع .

٢ـــ بين الحديث الشريف النتائج المترتبة على ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع وتركز ذلك في أنّ المجتمع الذي يمارس الأمر بالمعروف يصـــيبه العز ومن يتخلف عنه يصاب بالذل والهوان .

٢. مواجهة الأفكار المنحرفة .

التحصين بالأفكار لمواجهة التيارات المنحرفة : ورد عن ((علي بن إبراهيم عن أبيه عن النضر بن سويد عن هشام بن الحكم أنّه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن أسماء الله واشتقاقها الله مما هو مشتق قال فقال لي يا هشام الله مشتق من إله والإله يقتضي مألوهاً والاسم غير المسمى فمن عبد الاسـم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شـيئاً ، ومن عبد الاسـم والمعنى فقد كفر وعبد اثنين ومن عبد المعنى دون الاسـم فذاك التوحيد أفهمت يا هشـام قال فقلت زدني قال إنّ لله تسـعة وتسعين اسماً فلو كان الاسم هو المسمى لكان كل اسم منها إلهاً ولكن الله معنى يدل عليه بهذه الأسماء وكلها غيره يا هشام الخبز اسم للمأكول ، والماء اسم للمشروب ، والثوب اسم للملبوس والنار اسم للمحرق أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتناضل به أعداءنا والمتخذين مع الله جلّ وعزّ غيره قلتُ نعم قال فقال نفعك الله به وثبتك يا هشـام قال هشـام فو الله ما قهرني أحدٌ في التوحيد حتى قمتُ مقامي هذا)) (الكليني: ١ / ٨٧) .

إنّ نص المعصوم عليه السلام يعالج قضية كلامية ترتبط باشتقاق اسم الله تعالى ، وجاء الحديث إجابة عن سـؤال سـائل وكانت الإجابة مفصـلة مدعومة بالقرائن التي تقوي التوجيه المذكور وقد توضح ذلك في شرح الشيرازي إذ قال : ((فظهر ان اسم الله من الالفاظ المشتقة و أقرب الوجوه المذكورة في اشـتقاقه هو الوجه الاول من الوجوه الثلاثة المذكورة أولا وهي أولى من البواقي، فيجب حمل كلامه عليه السلام عليه، و حينئذ يكون الاله مصدرا بمعنى المفعول ، أي المألوه و هو المعبود بالحق . فقوله عليه السلام: و الإله يقتضي مألوها، معناه: ان هذا المفهوم المصـدري يقتضـي ان يكون في الخارج موجودا هو ذات المعبود الحقيقي ليدل على ان مفهوم الاسم غير المسمّى، و لذا عقبه بقوله: و الاسم غير المسمّى.)) ((الشيرازي : ٣ / ٧٩)

ولم يحو الحديث ألفاظاً تحتاج إلى الشرح والتوضيح إلا لفظة (مألوه) التي قيل فيها : إن ((المراد بالمألوه العابد، باعتبار أنّ عبادته مستحقّة بالفتح.)) (القزويني : ٢ / ٣٧٠)

وقد لا تكون جميع الأفكار الموجودة في الحديث تدخل ضـمن صـلب اشـتغالنا ، أو تقترب من فكرة البحث الذي نشتغل عليه فمثلما ذكرت إنّ البحث يعالج قضية عقائدية إلا أننا نركز على ما ورد في ختام الحديث من سؤال يوجهه الإمام عليه السلام إلى هشام : أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتناضـل به أعداءنا والمتخذين مع الله جلّ وعزّ غيره ؟ إذ إنّ هذا السـؤال يفضـي إلى قضـية

مهمة تشير إلى أهمية التسلح الفكري وامتلاك تفاصيل الأمور التي تمكننا من الدفاع عن عقائدنا الدينية وضـرورة امتلاك الحجة لمناقشـة أعداء الدين الذين يحاولون تزييف الحقائق وخلق الشـك والريبة في أعماق من يعتنقون ديننا الحنيف . إذ ((يستخدم أعداء الإسلام كل الوسائل ، وجميع الطرائق التي تهدف إلى اضـــطراب فكر الشـــباب ، وانحلال أخلاقهم ، والقضـــاء على هويتهم الإسلامية)) (سعود : ١٣) .

لذلك فإنّ الفراغ الفكري يســـتغل من قبل المغرضـــين الذين يحاولون فرض أفكارهم ، ودعمها لتمريرها على أبناء المجتمع ، لذلك فإنّ ضـــف التحصـــين الفكري ((يســـهل انتشـــار الأفكار المنحرفة والخرافية ، وكل فكرة لا تمت إلى الفكر الإنسـاني بصـلة وهذا يسـهل إلى كل من هب ودبّ أنْ ينشر أفكاره في هذا المجتمع)) (مطر : ١٨٣) .

وهذا ما يحوجنا إلى إدراك وجود من يتربص بمجتمعنا الإســـلامي ، ويحاول تمرير أفكر تناهض أفكارنا ، وتتقاطع مع ثوابتنا ، وهذا الأمر يمثل نموذج الحرب الفكرية القائمة منذ انتشار مبادئ ديننا الحنيف إلى يومنا هذا ، وهذا ما يتطلب منا المواجهة الفكرية الحازمة ، والتعامل بحزم حيال هذا الموضوع والاستعداد له ولا يكون هذا الاستعداد إلا بالتحصين الفكري الذي يكون جداراً حامياً يمنع تسلل الأفكار المنحرفة ، ولا يسمح بتسفيه ثوابت الإسلامية ومعتقداتنا الفكرية .

أهم ما يرشد إليه النص .

١ــ إنّ أبرز ما يرشد إليه حديث الإمام الصادق عليه السلام تأكيد وجود جهات تشن حرباً فكرية على الواقع الإسلامي عبر عنهم بأعدائنا يتوجب الحذر منهم واعتماد الوسائل المناسبة لمواجهتهم

٢ــــ من الضروري بمكان أنّ تنبري مجموعة من أبناء المجتمع الإسلامي تمتلك مقداراً كافياً من العلم والمعرفة لمواجهة الأفكار المنحرفة ، والشبهات التي تمس المعتقدات الإسلامية .

٣ــــ التحصين الفكري لأبناء المجتمع الإسلامي والتثقيف بمبادئ الدين الإسلامي ضرورة ملحة لأنّ الفراغ الفكري يستغل من المغرضين لتمرير أفكارهم ومعتقداتهم المشبوهة .

٣. فضل العلم :

ولعلّ من أبرز المضـامين الفكرية التي نستقيها من نصـوص المعصـومين عليهم السـلام إشـارتهم وتركيزهم على فضـل طلب العلم ، والحث على طلبه ، والإشـادة بمنزلة العلماء ودورهم الحيوي في المجتمع ، فضلاً عن أفضلية أصحاب العلم عمّن سواهم . ومن المؤكد أنّ ذلك يكون لفلسفة واعية ، وغاية . ويتضح ذلك من الأحاديث الكثيرة الواردة بهذا الشأن ، ومنها :

ما ورد ((عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبِيعِيِّ عَمَّنْ حَدَّثَهُ قَالَ سَمِعْتُ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ أَيُّهَا النَّاسُ اعْلَمُوا أَنَّ كَمَالَ الدِّينِ طَلَبُ الْعِلْمِ وَالْعَمَلُ بِهِ أَلَا وَ إِنَّ طَلَبَ الْعِلْمِ أَوْجَبُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِ الْمَالِ إِنَّ الْمَالَ مَقْسُومٌ لَكُمْ قَدْ قَسَمَهُ عَادِلٌ بَيْنَكُمْ وَ ضَمِنَهُ وَ سَيَفِي لَكُمْ وَ الْعِلْمُ مَخْزُونٌ عِنْدَ أَهْلِهِ وَ قَدْ أُمِرْتُمْ بِطَلَبِهِ مِنْ أَهْلِهِ فَاطْلُبُوهُ.)) (الكليني ١ / ٣٠) .

ولبيان دلالة الحديث وما يشير إليه ، واستكناه أبرز المضامين التي يعبر عنها لابدّ من بيان معاني بعض الألفاظ التي تحتاج بياناً وتعويضاً ، نحو :

لفظة (مقسوم) التي يراد بها النصيب إذ جاء في بيان معناها ((قالَ: القِسْمُ و المِقْسَمُ و المَقْسَمُ: نَصِيبُ الإِنْسانِ مِن الشيءُ. يقالُ: قَسَمْتُ الشَّيءَ بين الشّركاءِ و أَعْطَيْتُ كلَّ شَريكٍ قِسْمَه و مِقْسَمَه، كالقَسِيمِ، كَأَمِيرٍ، ج أَقْسِماءُ، كنَصِيبٍ و أَنْصِباء زِنَةً و معْنًى، جج أَي جَمْعُ الجَمْع أَقاسِيمُ، أَي جَمْعُ الأَقْسامِ، و الأَقْسامُ جَمْعُ القِسْمِ بالكسْرِ. و قيلَ: بل الأَقاسِيم جَمْعُ الأُقْسومةِ كأُظْفُورٍ و أَظافِيرٍ، و هي الحُظوظُ المَقْسومَةُ بينَ العِبادِ. و يقالُ: هذا يَنْقَسِمُ قَسْمَيْنِ، بالفتحِ: إِذا أُرِيدَ المَصْدَرُ، و بالكسْرِ: إِذا أُرِيدَ النَّصِيبُ و الحَظُّ أَو الجُزْءُ من الشَّيءِ المَقْسومِ..)) الزبيدي : ١٧ / ٥٦٩ .

وكذلك لفظة مضمون التي جاء في بيان معناها : ((ضَمِنْتُ: الْمَالَ وَ بِهِ (ضَمَاناً) فَأَنَا (ضَامِنٌ) و (ضَمِينٌ) الْتَزَمْتُهُ وَ يَتَعَدَّى بِالتَّضْعِيفِ فَيُقَالُ (ضَمَّنْتُهُ) الْمَالَ أَلْزَمْتُهُ إِيَّاهُ قَالَ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ (الضَّمَانُ) مَأْخُوذٌ مِنَ (الضَّمِ) و هُوَ غَلَطٌ مِنْ جِهَةِ الاشْتِقَاقِ لِأَنَّ نُونَ الضَّمَانِ أَصْلِيَّةٌ و (الضَّمُ) لَيْسَ فِيهِ نُونٌ فَهُمَا مَادَّتَانِ مُخْتَلِفَتَانِ و (ضَمَّنْتُ) الشَّيْءَ كَذَا جَعَلْتُهُ مُحْتَوِياً عَلَيْهِ (فَتَضَمَّنَهُ) أَيْ فَاشْتَمَلَ عَلَيْهِ وَ احْتَوَى. وَ مِنْهُ (ضَمَّنَ) اللَّهُ أَصْلَابَ الفُحُولِ النَّسْلَ (فَتَضَمَّنَتْهُ) أَيْ (ضَمِنَتْهُ) و حَوَتْهُ وَ لِهذَا قِيلَ لِلْوَلَدِ الَّذِي يُولَدُ (مَضْمُونٌ) لِأَنَّهُ مِنَ الثُّلَاثِيِّ و جَازَ أَنْ يُقَالَ (مَضْمُونَةٌ) لِأَنَّهُ بِمَعْنَى نَسَمَةٍ كَمَا قِيل)) (الفيومي : ٢ / ٣٦٤)

وقبل ذكر ما سطره شراح الحديث بشأن هذا النص الشريف نشير إلى المضمون العام الذي أشار إليه إذ يتركز مدلوله في مسارين رئيسين هما :

كمال الدين مرتبط بطلب العلم والعمل به ، وإنّ طلب العلم أفضل من طلب المال

ثم استطرد ليبين فلسفة تفضيل طلب العلم طلب المال .

وقد أوضحت جهود الشراح في بيان سبب ارتباط كمال الدين بطلب العلم ، إذ قال الشيرازي : ((قد علمت فيما سبق، ان الاعمال الدينية كالصلاة و الصيام و غيرهما انما يراد للاحوال اعنى طهارة القلب و صفاؤه عن الاخباث و الشهوات و التعلقات، و الاحوال انما يراد للعلوم، فهذا

معنى قوله عليه السّـــلام: ان كمال الدين طلب العلم، أي غاية الاعمال الدينية و التكاليف الشرعية طلب العلم.)) (الشيرازي ٢ / ١٦ .)

فغاية إرسال الرسالات السماوية السمو بالنفس الانسانية والارتقاء بها وتهذيبها ، وذلك يكون عن طريق التكاليف والأحكام الشرعية التي فرضت في الدين الإسلامي ، وطلب العلم هو الطريق الموصل إلى فهم هذه التكاليف والأحكام ليتسنى تطبيقها .

أمّا سبب تفضيل طلب العلم على طلب المال فبين ذلك الشيرازي في قوله : ((إنّ العلم غذاء للروح يحيى به و يقوى و يتكمل، كما أن بالمال يتغذى البدن و يحيى و ينمو و يتكمل و لا شك ان الروح اشرف من البدن و حياته ادوم و ابقى من حياة البدن لأنها حياة زائلة منقطعة و حياة الروح ابدية لا نهاية لها فطلب ما يوجب حياة الروح و هو العلم اوجب من طلب المال ... و إن رزق العبد و ما ينوط به في الدنيا امر مقدر مقسوم في القدر لا صنع للعبد فيه أصلا ، و لا دخل للطلب و التدبر فيه كما هو مكشـــوف عند من علم كيفية انتظام الامور الكائنة الارضية بالأسباب السماوية و الاغراض العلوية التابعة للأحكام القدرية، و مع ذلك قد اخبر الله تعالى بان الرزق مقسوم في الازل و اكد ذلك بالضمان و الاقسام المقتضى للإيفاء)) الشيرازي : ٢ / ١٦

فأوضح الحديث الشريف أنّ الله ضمن الرزق ولا جدوى من الالحاح بطلبه ، والانشغال به ومن الأولى بذل الجهود لطلب العلم لأنّه الســـبيل لبناء الروح الدائمة التي بها يرتفع شـــأن الانسان ويسمو قدره .

ويبدو أنّ العلم المقصود هنا هو العلم الموصل إلى اليقين الذي به تطمأن النفس ويترسخ الاعتقاد وتنكشـــف دلالات الأحكام والتعاليم الدينية ، ومعنى ذلك إنّ ((الدين إنّما يكمل بطلب اليقين فيما يمكن تحصـــيل اليقين فيه بالبراهين، وتحصـــيل الظنّ فيما لا يمكن ذلك فيه بالأدلّة الشـــرعيّة، والعمل بمقتضـــى ذلك العلم، فمن عمل تقليداً لم يكن دينه كاملًا . أو معناه أنّ كمال الدين هو الحكمة من استكمال قوّتي: النظريّةِ والعمليّة بحصول العقل بالفعل، والأخلاق المؤدّية إلى صـلاح المعاش والمعاد . وقوله عليه السـلام: (ألا وإنّ طلب العلم) أي علم الدين بل مطلق العلم النافع . وقوله عليه السـلام: (أوجَبُ عليكم) فمراده بالوجوب إمّا الوجوب الشـرعي الكفائي، أو الوجوب العقلي العيني، أي أحسن وأليق بأنفسكم. والمراد بالمال الرزق لا فضول المال.)) (الشيرازي ١١٥)

ويشـــير هذا الحديث إلى أهمية خلق العقل النقدي الذي لا يؤمن بالأمور عن طريق التقليد والمحاكاة بل لابد من الوصـول إلى مرحلة اليقين واستيعاب الأحكام بصـورة تجعلها راسـخة في

النفس الإنســانية وهذا ما يشــكل حصــناً فكرياً منيعاً يواجه به كل الانحرافات الفكرية التي تواجه أبناء المجتمع وهو يشكل مرتكز فلسفة الأمن الفكري ، ومن أبرز مضامينه .

وإنّ أهمية طلب العلم لم تجعل الحث على طلبه غاية المراد بل شـــرعت ببيان قيمة العلماء وعلوم منزلتهم في المجتمع ، وجعلهم في مكانة مرموقة في نفوس الناس ولم يكن ذلك إلا لأهمية أثرهم الاجتماعي وفاعليتهم في الحفاظ على المنظومة القيمية في المجتمع فضـــلا عن ترسيخ القيم والأخلاق الإسلامية عن طريق ممارسة دورهم الريادي في هذا الجانب ومصداق هذا القول الحديث الوارد عن :

((محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسـى عن محمد بن سـنان عن إسـماعيل بن جابر عن أبي عبد الله عليه السـلام قال : العلماء أمناء والأتقياء حصـون والأوصـياء سـادة وفي رواية أخرى العلماء منار والأتقياء حصون والأوصياء سادة)) (الكليني ١ / ٣٢ .)

ولبيان معنى الحديث وأبرز مضـــامينه لابدّ من الوقوف على معاني الألفاظ الواردة فيه وتفسـير ما يحتاج منها إلى تفسـير وتوضـيح . وهذا ما يجعل ضـرورة بيان كلمة (أمناء) ويراد بها : ((من يصدقونهم و يَأْتَمِنُونَهُمْ على ذلك كل)) (الطريحي : ٦ / ٢٠٧)

وكذلك كلمة (حصون) وهي جمع كلمة حِصن وقيل عنها :

((الحِصْـــنُ: الْمَكَانُ الذِي لَا يُقْدَرُ عَلَيْهِ لِارْتِفَاعِهِ وَ جَمْعُهُ (حُصُـــونٌ))) (الفيومي : ٢ / ١٣٩) ((والحِصْـنُ، بالكسْـرِ: كلُّ مَوْضِـعٍ حَصِـينٍ لا يُوصَـلُ إِلى ما في جَوْفِهِ، ج حُصـونٌ؛ و منه قَوْلُه تعالَى: { مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ } (سورة الحشر : ٢))) (الزبيدي : ١٨ / ١٤٨) .

أمّا السـادة فأوضـحت معجمات اللغة حملها أكثر من معنى إذ ورد تاج العروس إنّ : ((السَّـيِّد هو: الرَّئيسُ. و قال ابن شُمَيل: السَّيِّد: الّذِي فاق غيْرَه بالعَقْل و المال، و الدَّفْعِ و النَّفْعِ، المُعْطِي مالَهُ في حُقُوقِه، المُعِينُ بنَفْسـه . و قال عِكْرِمةُ: السَّيِّد الّذِي لا يَغْلِبُه غَضَـبُه . و قال قَتَادةُ : هو العابِدُ، الوَرِعُ، الحَلِيمُ. و قال أَبو خَيْرَةَ : سُمِّيَ سَيِّداً لأَنّه يَسُودُ سَوَادَ الناسِ أَي مُعظَمَهم . و عن الأَصـمعيّ: العرب تقول: السَّيِّد كُلُّ مقهورٍ مَغْمُورٍ بحِلْمِهِ. و قيل السيِّد: الكريم.)) (الزبيدي : ٥ / ٣٢)

وربما تعدد المعاني لهذه اللفظة يمنحها زخماً معنويا يتناسـب مع فخامة مدلولها ورمزيتها وقيمة من يشار إليه بها .

ومن الألفاظ الواردة في الحديث وبها حاجة للتبيين كلمة (منار) التي عدت رواية ثانية للحديث ومعناها ((و المَنَارَةُ، و الأَصـلُ مَنْوَرَةٌ، قُلِبَت الواو أَلفاً لتَحَرُّكها و انفتاح ما قبلَها: مَوْضِـعُ النُّورِ، كالمَنَارِ، و المَنَارَة : الشَّـمْعَةُ ذات السِّـراج، و في المحكم: المِسْـرَجَة، و هي التي يُوضَـع عليها السِّراج .)) (الزبيدي : ٧ / ٥٦٤)

وبيان هذه الألفاظ الواردة في الحديث تشـير إلى المعنى الإجمالي الذي يعبر عن مكانة العلماء في المجتمع بحسـب مراحلهم العلمية واقتران علمهم بالتقوى أو السـيادة إذ جعل العلماء أمناء في مجتمعاتهم أو مناراً يسـتدل الناس بهم ، في حين جعل الأتقياء منهم حصـوناً للدين وللمجتمعات الإسلامية تحميهم من كل دخيل يريد زعزعتهم ، والمرحلة الأسمى ترتبط بالأوصياء الذين جعلت لهم منزلة سادة القوم .

وقد أوضـحت كتب الشـروحات تفصـيلاً لمعنى هذا الحديث الذي أشـار إلى منزلة العلماء ، ومحورية موقعهم في المجتمع ، مع بيان فلسـفة ذلك ، وفي هذا الصـدد قال الشـيرازي : ((اما كون العلماء أمناء الله فى ارضـه فلانهم حملة لكتابه و حفظة لأسـراره و خزنة لحكمته و ليس لغيرهم هذا الشأن حتى يكون امينا، اذ ليس من الحمل و الحفظ و الخزانة فى شيء. و اما كونهم منارا فى بلاده كما فى الرواية الاخرى فلان بهم يعرف معالم دين الله و سـبيل طاعته و طريق رضوانه. و اما كون الاتقياء حصونا للشريعة فلان بالتقوى يدفع فساد المفسدين. فان مواظبة اهل التقوى و اصـحاب الورع على فعل الطاعات و ترك المنكرات تؤثر تأثيرا عظيما فى قلوب الناس فلا يجترءون على هتك حرمة الشريعة و هدم حصونها. و اما كون الأوصياء سادة فلانهم اجل العلماء و افضلهم و اعظمهم و العلماء سادات– الناس، لانهم فى رتبة الانسانية و حقيقة الادمية و هى العقل و التميز و الرواية و النطق اعظمهم و اكملهم، و الافضـل من الافضـل اولى بان يكون افضـل و اجل، فالاوصـياء عليهم السـلام اولى بان يكونوا سـادة الخلائق اجمعين سـوى النبيين عليهم الصلاة و السلام.)) الشيرازي : ٢ / ٤٨ .

ولم تكن تلك المنزلة الرفيعة متأتية من فراغ إنّما جاءت لما لهم من أثر مهم في الواقع الاجتماعي إذ((منحهم الله تعالى ذلك و أعطاهم هذه المنزلة الشـريفة الّتي هي الخلافة العظمى و الرّئاسـة الكبرى ليجذبوا العقول الناقصـة من تيه الضـلال إلى جناب حضـرته و يخلصـوا الخلائق عمّا التفتوا إليه من اتّباع الشـهوات الباطلة و اقتناء اللّذات الزّائلة و يبعثوهم على أداء ما خلقوا لأجله بالتنبيه على عظمة نعم الله عليهم و كثرة إحسـانه إليهم و ترغيبهم فيما عند الله ممّا أعدّه لأوليائه و تحذيرهم عمّا أعدّ لأعدائه)) (المازندراني : ٢ / ٣٧) .

فالعلماء هم السـد الأمين لمنع تسـرب الانحرافات الفكرية إلى المجتمع ، وهم الوسـيلة المثلى لبناء منظومة قيمية وفكرية في المجتمع وهذا من أبرز مضـامين الأمن الفكري الذي يجب أنْ يؤخذ بالحسـبان ويولي العلماء رعاية خاصـة فضـلاً عن أخذ العلماء دورهم الريادي وتحمل المسؤولية الملقاة على عاتقهم وتأديتها على أحسن وجه لأنّ الله عزّ وجلّ ((ائتمنهم الله على ما آتاهم من علومه و معارفه، و أمرهم بأن يحفظوها عن التضـييع و يوصـلوها إلى مسـتحقها.)) المجلسـي : ١/ ١٠٧) . فمنزلتهم متأتية من هذا الدور وهذه المسؤولية الكبيرة التي لها أثر مهم

في خلق جيل واع ، وبناء مجتمع متحصن فكرياً قادر على مواجهة الموجات الفكرية التي تحاول زعزعة القيم وتوهين المعتقد في نفوس معتنقيه .

أهم ما يرشد إليه الحديثان :

١. السعي الحثيث في طلب العلم .

٢. وضع العلماء في موضوعهم الطبيعي ومعاملتهم بحسب هذه المنزلة

٣. من الضروري أنْ يأخذ العلماء دورهم ويتحملوا مسؤوليتهم

٤. فضل اليقين :

ومن مضـامين الأمن الفكري في نصـوص المعصـومين عليهم السـلام الإشـارة بفضـل اليقين والحث عليه ، وبيان أهميته ، والتفصيل بآليات الوصول إليه ، وأهمية العبادة المبنية على أســاس اليقين وتفضــيلها على العبادة الخالية منه . وبهذا المعنى جاءت مجموعة من أحاديث الأئمة عليهم السلام .

وقبل الولوج بشـرح الحديث المنتخب من الأحاديث الحاملة لهذا المضـمون لابد من بيان معنى اليقين وأهميته في الثقافة الإسلامية بصورة عامة .

إذ يعرف اليقين بأنّه ((تعبيرٌ عن حالة الثبات والاستقرار والاطمئنان الّتي تحصل للإنسان عندما يحقّق في معرفة مجهولٍ معيّنٍ، فيصل إلى معرفته كما هو عليه في الواقع ، فتكون المعرفة غير قابلةٍ للزوال؛ لذلك يعرّف اليقين بأنّه المعلوم جزمًا الّذي لا يقبل التشكيك)) (ابن عاشور : ١٤ / ٣٧٤) .

وهذا يعني أنّ اليقين يمثل حالة من التثبت الموصلة إلى استقرار الأفكار ، والمعتقدات المأخوذة عن طريق البحث والتقصي والتمحيص حتى تصل إلى درجة القطع والثبات في النفس الانسانية.

والناظر إلى الأدبيات الإســلامية ، يتبين أنّ الإســلام اعتنى بمفهوم اليقين ، وحث عليه في جملة من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ، ونصوص المعصومين عليهم السلام ، ومن ذلك قوله تعالى : { وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صــــبروا وكانوا بآياتنا يوقنون} (سورة السجدة : ٢٤) ، وقوله تعالى : { وفي الأرض آيات للموقنين } (سورة الذاريات:٢٠) ، وقوله تعالى : { والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون } (ســـورة البقرة : ٤) .

والنظر في الآيات القرآنية التي وردت فيها ألفاظ اليقين يفضـــي إلى تعدد معانيه فيها إذ ((أتت بمعنى التوحيد وبمعنى العلم والمعرفة والتصــديق ، وجاءت بمعنى الثابت وجميع تلك الاعتقادات

وجميع تلك المعاني لجعل الانســان يخرج من حال الشــك الذي يكون عليه ليصــل إلى للاعتقاد الصادق اليقيني سواء على المستوى النفسي أو العقلي)) (فريد : ٦٣)

وهذه هي الفلسفة من وراء الوصول إلى مرحلة اليقين المتمثلة بالاستقرار والاعتقاد الجازم وعدم التأرجح والشك في تلك المتبنيات الفكرية والعقائدية للإنسان .

وقد وجه أهل البيت عليهم الســلام عن طريق نصــوصــهم الشــريفة إلى العناية باليقين ، والحث على العبادة والعمل المتأتية منه ، وتفضيلها على العبادة والعمل الخالي منه ، وحمل هذا المضمون الحديث الوارد عن : ((ابن محبوب عن هشام بن سالم قال سمعت أبا عبد الله يقول : إِنَّ الْعَمَلَ الدَّائِمَ الْقَلِيلَ عَلَى الْيَقِينِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَمَلِ الْكَثِيرِ عَلَى غَيْرِ يَقِين)) (الكليني : ٢ / ٥٧ ، المجلسي : ١٣ / ٩٥)

واليقين في اللغة : ((إزاحَةُ الشَّكِّ و العِلْمُ و تَحْقِيقُ الأمْرِ، و نَقِيضُـه الشَّكّ؛ و في الاصْطِلاحِ: اعْتِقادُ الشـــيءِ بأنَّه كذا مع اعْتِقادِ أنَّه لا يُمْكِن إلَّا كذا مُطابِقاً للواقِعِ غَيْر مُمْكِن الزَّوالِ و القَيْد، الأوَّل: جنْسٌ يَشْـــملُ الظّنَّ، و الثاني: يُخْرِجُه؛ و الثالِثُ: يخرجُ الجَهْلَ المُركَّبَ؛ و الرابعُ: يخرجُ اعْتِقاد المُقَلد المُصِيب .)) (الفيومي : ٢ / ٦٨١) .

وقيل هو ((إزاحَةُ الشَّكِّ و العِلْمُ و تَحْقِيقُ الأمْرِ، و نَقِيضُـه الشَّكّ.)) (الزبيدي : ١٨ / ٥٩٦) .

ويبدو أنّ تفضــيل العمل المقترن باليقين مبني على أســاس إرادة الاســتقرار والديمومة ، وعدم المغادرة وهذا سـبب تفضـيله إذ ((لا بد من اعتبار الدوام في العمل الكثير ليكون نصـا على أن الافضـلية باعتبار اليقين و لعل السـر فيه أن اليقين يوجب التقوى و كمال الاخلاص و الفضـل يزداد بهما .)) (المازندراني : ٨ / ١٨٢) .

وحين نتطلع اليوم إلى رياح الأفكار المناوئة لثوابت الدين الإســـلامي ومعتقداته التي اجتاحت مجتمعاتنا ، واستطاعت تغيير أفكار كثير من أبناء مجتمعنا ندرك جليا أهمية الوصـول إلى مرحلة اليقين الذي يشكل درعاً حصيناً يواجه التيارات المنحرفة والأفكار الدخيلة على خلاف القيم التي تتأرجح في نفوســنا لعدم ثباتها واســتقرارها فهي تكون عرضــة للزوال واحلال غيرها محلها .

وهذا يوضـــح قيمة اليقين وأهميته إذ ((إن إحدى ثمرات اليقين دوام العمل فإن اليقين الذي هو ســـببه لا يزول بخلاف العمل الكثير على غير يقين فإنه غالبا يكون متفرعا على غرض من الأغراض تتبدل سريعا، أو إيمان ناقص هو بمعرض الضعف .)) (المجلسي : ٧ / ٣٦٠)

فنص المعصــوم أوضــح أنّ العمل مع اليقين أفضــل من عمل يخلو منه لما لليقين من قدرة على اضــفاء صــفة الديمومة على العمل ورســوخ المعتقدات والقيم المتفرعة عنه . وتملك

الانســـان القدرة على مواجهة الانحرافات الفكرية . لأنّها تكون غير قادرة على زحزحة القيم والمعتقدات التي تبناها الانسان بعد تثبت واع حتى وصل إلى مرحلة اليقين .

أهم ما يرشد إليه النص .

١. الوصول إلى مرحلة اليقين في اكتساب معتقداتنا وعدم أخذها عن طريق المحاكاة والتقليد .
٢. العمل القائم على يقين به أفضل من العمل الذي يقام من غير يقين راسخ .
٣. إنّ أهمية اليقين تتمثل في أنّه سبب من أسباب ديمومة العمل وعدم انقطاعه .
٤ـــ اليقين سبيل من سبل الوصول إلى بسط الأمن الفكري في المجتمع لأنّ يشكل حصناً منيعاً لكل الأفكار الهدامة التي تريد اجتياح مجتمعاتنا .

الخاتمة

بعد الاطلاع على طائفة من النصـوص الشـريفة الواردة عن الأئمة المعصـومين عليهم السـلام والتي وجدناها تحمل مضامين فكرية أسست لأهم المرتكزات التي تؤسس لبرنامج يحقق أمناً فكرياً في المجتمع يتمثل في السـعي الحثيث للدعوة إلى القيم الإنسـانية النبيلة والمعتقدات الأصـيلة ، ومواجهة الانحرافات الفكرية التي تظهر بين الفينة والفينة بالســبل الفكرية فالفكر يواجه بالفكر ، فضــلا عن أهمية العلم وبيان فضــل وضــرورة طلبه . ووضــع العلماء في موضــعهم ، وتحمل مسؤوليتهم في المجتمع . مع بيان أهمية أنْ يكون العلم المتحصل قادراً على إيصالنا إلى مرحلة اليقين وهي المرحلة النموذجية في الثقافة الإســلامية التي تعتمد الوصــول إلى الحقيقة والتثبت وعدم اعتماد التقليد في تأســيس المنظومة القيمية والعقدية للإنســان والمجتمع . وبذلك يتحقق الأمن الفكري في المجتمع ويكون ذلك المجتمع قادراً على مواجهة الانحرافات الفكرية الطارئة التي تحاول اجتياحه

قائمة المصادر

القرآن الكريم .

- ابن أبي الحديد ، عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦هـــ) : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، الطبعة الأولى ، مكتبة آية الله المرعشي النجفي ، قم . إيران ، 1404هـ .

- ابن عاشـور ، محمد بن طاهر : التحرير والتنوير ، الطبعة الأولى ، مؤسـسـة التاريخ ، بيروت . لبنان .
- الأعرجي ، السيد نبيل : الأمن الفكري في نهج البلاغة ، الطبعة الأولى ، مؤسسة علوم نهج البلاغة ، كربلاء العراق ، ٢٠١٥م .
- إيمان أحمد عزمي : مفهوم الأمن بين المحددات العلمية والإشكالات المنهجية المعاصرة : دراسـة تحليلية للتعريفات والدور المجتمعي للمؤسسـات . المؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري ، الرياض ، السعودية ، ١٤٣٠هـ ، منشور ألكترونياً على الموقع : dr-faisal-library.pub.sa
- البقمي ، سـعود بن سـعد : تعزيز الأمن الفكري ، بحث في المؤتمر الوطني السـعودي الأول للأمن الفكري ، الرياض ، السعودية ، ١٤٣٠هـ ، منشور ألكترونياً على الموقع : dr-faisal-library.pub.sa
- الجيلاني ، رفيع الدين محمد بن محمد المؤمن ، (ت القرن ١١) : الذريعة إلى حافظ الشريعة (شرح أصول الكافي للجيلاني) ، دار الحديث ، قم ، إيران .
- الحسيني ، الزبيدي ، محمد مرتضى (ت ١٢٠٥هـ) : تاج العروس من جواهر القاموس ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، بيروت . لبنان ، ١٤١٤هـ .
- حيدر عبد الرحمن الحيدر : الأمن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية ، الطبعة الأولى أكاديمية الشرطة ، مصر ، ١٤٢٣هـ
- خلدون سعود سلامة القرالة : الأمن الفكري من منظور القرآن الكريم . دراسة موضوعية (رسالة ماجستير) ، إشراف الدكتور طالب محمد الصرايرة ، جامعة مؤتة ، ٢٠١٠م .
- سـمير دحيري : مقاصـد الشـريعة ودورها في تعزيز الأمن الفكري في المجتمع ، مجلة الشهاب ، المجلد ١٠ ، العدد ٢ ، ٢٠٢٤ .
- الشريف الشيرازي ، محمد هادي بن معين الدين محمد ١٠٨١هـــ : الكشف الوافي في شرح أصول الكافي ، دار الحديث ، قم . إيران .
- الشـيرازي ، صـدر الدين محمد بن إبراهيم (١٠٥٠هـــ) : شرح أصـول الكافي لصـدر المتألهين ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الأبحاث الثقافية ، طهران ، إيران ، ١٤٢٥هـ .
- الطريحي ، فخر الدين بن محمد (ت ١٠٨٥هـــ) : مجمع البحرين ، الطبعة الثالثة ، المرتضوي ، طهران . إيران ، 1417هـ .
- الطوسـي ، محمد بن الحسـن (ت ٤٦٠هـــ) : تهذيب الأحكام (تحقيق الخرسـان) : الطبعة الرابعة ، دار الكتب الإسلامية ، طهران . إيران ، ١٤٠٧هـ .

- عبـد الكريم الخصـــــاونـة : أهميـة الأمن الفكري (مقـال) ، دار الإفتـاء العـام www.aliftaa.jo
- علاء مطر : مفهوم الإرهاب الفكري في الفكر الإسـلامي والعقلية العربية ، مجلة أبحاث ، العدد الثاني عشر ، ٢٠١٨ .
- الغزالي أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـــ) : إحياء علوم الدين ، دار المعرفة ، بيروت . لبنان .
- فريد ، فاطمة نصـــر الله ، مفهوم اليقين في الفكر الإســلامي مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الجزء الثاني ، العدد ٤٨ ، ٢٠٢٤م .
- الفيومي ، أحمد بن محمد (ت ٧٧٠هـــ) : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، مؤسسة دار الهجرة ، قم . إيران ، 1414 هـ .
- القزويني ، المولى خليل بن غازي 1089هـــ : الشافي في شرح الكافي ، دار الحديث ، قم . إيران ، 1429هـ .
- الكليني ، محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت ٣٢٩هـــ) : الكافي ، الطبعة الرابعة ، دار الكتب الإسلامية ، طهران . إيران ، 1407هـ .
- المازندراني ، محمد صالح بن أحمد ، ١٠٨١هـــ : شرح الكافي ، الأصول والروضة ، المكتبة الإسلامية ، طهران . إيران ، ١٤٢٤هـ .
- المجلسي ، محمد تقي بن مقصود علي (ت ١٠٧٠هـ) : روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه (ط ـــ قديمة) ، مؤسسة كوشانبور للثقافة الإسلامية ، قم ـــ إيران ، 1406هـ
- محمد تهامي دكير : الأمن الفكري في القرآن والسنة (مفهومه ، ومرتكزاته ، ومعوقاته) مجلة تبيين للدراسات القرآنية ، السنة الثانية ، العدد (٦) ، ٢٠٢٥م .
- محمد سامي الدليمي ، أ.د محمد جاسم العيساوي ، أ.م.د. ظاهر فيصل بديوي ، أ.م.د. معتز إسماعيل الصبيحي ، دور الكتاب والسنة في تعزيز مفهوم الأمن الفكري (بحث) مجلة الباحث للعلوم الإســلامية ، مجلد ١ ، عدد ١ المجلد الخاص بالمؤتمر الدوري الدولي الثالث للعلوم الإنسانية ، ٢٠٢٤م .
- محمد محمود مرتضـــى : الأمن الفكري الحصـــن الركين لمجتمع الانتظار ، مجلة تبيين للدراسات القرآنية ، السنة الثانية ، العدد (٦) ، ٢٠٢٥م .
- نبيل الأعرجي : الأمن الفكري في نهج البلاغة ، الطبعة الأولى ، مؤسسة نهج البلاغة / العتبة الحسينية المقدسة ، كربلاء المقدسة ، العراق ، ٢٠١٥ .

- هبة جمال جاد : الأمن الفكري درع المجتمع وضـــمان اســتقراره ، مجلة المجتمع ، ٢٧ فبراير ، ٢٠٢٦ ، mugtama.com
- هيفاء راضــي جعفر البياتي : مسؤولية الإعلام في حماية الأمن الفكري (مقال) ، مجلة النهرين للعلوم القانونية ، مجلد ١ ، عدد ١٩ ، ٢٠١٧ .